العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

توظيف الطقوس الاحتفالية في نشر الدعوة الإسماعيلية بالدولة الفاطمية ٣٥٨-٥٦٧ هجري

م.د. حوراء حسون الخزاعي
المديرية العامة لتربية القادسية
Hawraa.Hasson.AIkuzuie@ec.edu.iq

الملخص

تناولت هذه الدراسة إشكالية تاريخية بالغة الأهمية، تتمحور حول الكيفية التي وظف بها الخلفاء الفاطميون الطقوس الاحتفالية وسيلة فعالة لنشر دعوتهم الإسماعيلية وترسيخ شرعيتهم السياسية والدينية في مصر وسائر أرجاء دولتهم خلال المدة الممتدة من عام ٣٥٨ هـ إلى ٥٦٧ هـ، وقد استعرضت الدراسة جملة من الاحتفالات والأعياد الكبرى مثل أعياد المولد النبوي الشريف، وعيد الغدير، ورأس السنة الهجرية، وليلتي النصف من شعبان والإسراء المعراج، ومواكب الفطر والأضحى، فضلاً عن احتفالات وفاء النيل وفتح الخليج، وقد كشفت الدراسة عن الأبعاد الأيديولوجية والدعوية الكامنة وراء هذه الطقوس، ومدى استجابة المجتمع المصري ذي الغالبية السنية لها، واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي الاستقرائي والمنهج التحليلي النقدي، مستعيناً بمصادر أصيلة كالمقريزي والقلقشندي وابن خلدون والنويري، إلى جانب دراسات المستشرقين الغربيين أمثال هاينز هالم وبول ووكر وبرنارد لويس.

الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية، الطقوس الاحتفالية، الدعوة الإسماعيلية، المواسم الدينية مصر الفاطمية، عيد الغدير، المولد النبوي.

The Use of Ceremonial Rituals in Spreading the Ismaili Call in the Fatimid State (358-567 AH)

Dr. Hawraa Hassoun Al-Khaza’i
General Directorate of Education in Al-Qadisiyah

Abstract:

This study examines a significant historical problem concerning the manner in which Fatimid caliphs employed ceremonial rituals as an effective means of propagating their Ismaili da'wa (religio-political mission) and consolidating their political and religious legitimacy in Egypt and across their realm during the period 358–567 AH. The study surveys major celebrations including the Prophet's Birthday (Mawlid al-Nabi), the Feast of Ghadir Khumm ('Id al-Ghadir), the Islamic New Year, the mid-Sha'ban and Isra' wa-Mi'raj nights, the 'Id al-Fitr and 'Id al-Adha processions, as well as celebrations of the Nile flood season (Wafa' al-Nil) and the opening of the canal (Fath al-Khalij). The study uncovers the ideological and da'wa dimensions embedded within these rituals, and the extent to which the predominantly Sunni Egyptian population responded to them. The study employs an inductive historical method alongside a critical analytical approach, drawing on primary sources such as al-Maqrizi, al-Qalqashandi, Ibn Khaldun, and al-Nuwayri, together with the scholarship of orientalists including Heinz Halm, Paul Walker, and Bernard Lewis.

Keywords: Fatimid State, Ceremonial Rituals, Ismaili Da'wa, Religious Festivities, Fatimid Egypt, 'Id al-Ghadir, Mawlid al-Nabi.

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تعد الدولة الفاطمية من أبرز التجارب السياسية والحضارية في تاريخ الإسلام الوسيط، إذ نجحت في إقامة دولة شيعية إسماعيلية في قلب العالم الإسلامي السني، وبسطت سلطتها على مصر وبلاد الشام والحجاز وأجزاء من المغرب وإفريقيا قرابة من قرني ونصف، منذ تأسيسها على يد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي[1] عام ٣٥٨ هـ/٩٦٩ م، حتى سقوطها على يد صلاح الدين الأيوبي[2] عام ٥٦٧ هـ/١١٧١م. وقد أفضى هذا الواقع إلى تساؤلات جوهرية حول الآليات التي اعتمدها الفاطميون في نشر مذهبهم الإسماعيلي وسط مجتمع مصري سني الأغلبية، وما إذا كانوا قد نجحوا في تحقيق اختراق مذهبي حقيقي، أم أنهم اكتفوا بصبغة إدارية وسياسية دون تحول ديني جذري[3].

وتبرز في هذا السياق ظاهرة الطقوس الاحتفالية التي أولاها الخلفاء الفاطميون اهتماماً استثنائياً، وجعلوا منها أداةً رئيسية في منظومتهم الدعوية، إذ وظفوا القاهرة وسائر المدن مسارح ضخمة للتعبير عن الهوية الإسماعيلية وتقديم الشعائر الدينية الشيعية في قالب احتفالي مبهج، يدمج بين البعد الروحي والبعد السياسي والترفيهي، بما يستقطب المشاركة الشعبية الواسعة ويؤهل المجتمع السني لقبول الأطر المذهبية الجديدة تدريجياً. ولعل أبرز هذه الاحتفالات: عيد الغدير، ومولد النبي ﷺ، والمواكب الكبرى في الأعياد الإسلامية، واحتفالات وفاء النيل وفتح الخليج، والمواسم الدينية الشيعية الخاصة كذكرى عاشوراء.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من أن كثيراً من الباحثين أغفلوا الوظيفة الدعوية للاحتفالات الفاطمية، أو تناولوها من زاوية شكلية وصفية مجردة، في حين تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف البنية الأيديولوجية

---

1) **المعز لدين الله الفاطمي (أبو تميم معد بن إسماعيل بن المنصور بالله):** ولد بمدينة المهدية عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م، آلت إليه مقاليد الخلافة الفاطمية عام ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م إثر وفاة والده المنصور بالله، فكان بذلك الرابع في سلسلة الخلفاء الفاطميين بالمغرب، والأول منهم على عرش مصر، اشتهر بغزارة علمه وتمكنه من لغات شتى، وبنهمه الفكري الذي جعله يرعى العلوم والآداب رعاية صادقة، فضلًا عن نجاحه في لم شعث بلاد المغرب تحت لواء دولته، وفي عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م سير قائده المحنك جوهر الصقلي إلى مصر ففتحها، ثم أعقب ذلك بانتقاله بنفسه إليها عام ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ليجعل من القاهرة حاضرة للخلافة الفاطمية، ومنها أرسى دعائم مؤسساتها الكبرى وفي مقدمتها الجامع الأزهر، وقد جمعت سياسته بين الحزم في موضع الحزم واللين في موضعه، وأفضى اهتمامه بالعمران والكتب إلى أن يغدو عهده حقبة من الازدهار الاقتصادي والنهضة الثقافية التي شهدتها الدولة الفاطمية في أوج عطائها، وقد لقي ربه بالقاهرة سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م، للمزيد ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٧٢، ج٥، ص ٢٢٣ – ٢٢٦.

2) **صلاح الدين الأيوبي (الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدنيا والدين يوسف بن أيوب):** من أبرز الشخصيات السنية التي برزت في خاتمة عهد الدولة الفاطمية وأسهمت في تحويل مسار التاريخ الإسلامي تحويلًا جذريًا، فقد تقلد منصب الوزارة في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة عام ٥٦٤ هـ خلفاً لعمه أسد الدين شيركوه في عهد الخليفة الفاطمي الأخير العاضد بالله، فأحسن استثمار هذا المنصب مدخلًا لإعادة النفوذ السني إلى مصر بخطى محسوبة ومتدرجة؛ إذ أعاد الخطبة للخليفة العباسي، وعمل على إزالة مظاهر الطقوس الإسماعيلية، حتى أسدل الستار نهائيًا على الخلافة الفاطمية عام ٥٦٧ هـ، وقد تجاوز إنجازه حدود مصر لينسج من مصر والشام كيانًا سياسيًا وعسكريًا موحدًا هو الدولة الأيوبية، التي غدت لاحقًا الدرع الحامية للعالم الإسلامي في مواجهة الحملات الصليبية، ينظر: ابن شداد، بهاء الدين يوسف، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964، ص32–35.

3) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٥٣ م، ج١، ص 99.

العميقة التي تقف وراء هذه الطقوس، وربطها بمشروع الفاطميين الدعوي الشامل الرامي إلى إعادة صياغة الوعي الديني والسياسي لمجتمع مصر.

مشكلة البحث:

تمحورت مشكلة هذا البحث حول التساؤل المحوري الآتي: كيف وظف الخلفاء الفاطميون الطقوس الاحتفالية في خدمة مشروعهم الدعوي الإسماعيلي، وما مدى فاعلية هذا التوظيف في اختراق البنية المذهبية السنية السائدة في مصر خلال المدة الممتدة من ٣٥٨ هـ إلى ٥٦٧ هـ؟

أسئلة البحث:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما الطقوس الاحتفالية الكبرى التي أقامها الفاطميون، وما سماتها الدعوية المميزة؟

٢- كيف استخدمت هذه الاحتفالات وسيلة لترسيخ شرعية الخلافة الفاطمية وتعزيز الولاء للإمام؟

٣- ما ردود أفعال المجتمع المصري السني تجاه هذه الطقوس الإسماعيلية؟

٤- هل نجح الفاطميون في إحداث تحول مذهبي حقيقي، أم أن التأثير بقي على المستوى الشعائري والاجتماعي دون تغلغل عقدي عميق؟

أهمية البحث:

استمدت تلك الدراسة أهميتها من عدة اعتبارات: أولها؛ أنها سلطت الضوء على أسلوب دعوي بالغ الأثر لم يحظ بالدراسة الكافية في ضوء المصادر الأولية، وثانيها؛ أنها أسهمت في فهم العلاقة الجدلية بين السلطة والدين والمجتمع في الحضارة الإسلامية الوسيطة، وثالثها؛ أنها جمعت بين المصادر العربية الكلاسيكية والدراسات الاستشراقية الحديثة في إطار نقدي متوازن.

أهداف البحث:

هدف البحث إلى الكشف عن البنية الأيديولوجية للاحتفالات الفاطمية، وتحليل مستويات التوظيف الدعوي، وتقييم مدى نجاح هذا المشروع في ظل بيئة مذهبية مغايرة، وإثراء الدراسات المتعلقة بالحضارة الفاطمية بمقاربة منهجية جديدة.

أسباب اختيار البحث:

من أهم دوافع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب، لعل أبرزها: ندرة الدراسات المتخصصة التي تناولت الوظيفة الدعوية للاحتفالات الفاطمية بمنهجية علمية محكمة، وكذلك التساؤل الملح الذي يطرحه الواقع التاريخي نفسه: كيف أمكن لأقلية مذهبية شيعية إسماعيلية أن تحكم مصر ذات الأغلبية السنية قرابة من قرنين دون أن تشهد ثورة مذهبية شعبية واسعة؟ ويرى الباحث هنا أن الطقوس الاحتفالية هي أحد المفاتيح التفسيرية الرئيسية لتلك الظاهرة.

منهج البحث:

اعتمد البحث على منهجين متكاملين: المنهج التاريخي الاستقرائي في جمع المعطيات وتتبعها من المصادر الأولية، والمنهج التحليلي النقدي في تفسير هذه المعطيات وربطها بسياقها الدعوي والسياسي، وقد تم الاستعانة في ذلك بمقتضيات تاريخ العقليات والتاريخ الاجتماعي لإظهار العلاقة بين النص الطقوسي والسياق الاجتماعي والسياسي.

حدود البحث:

الحدود الزمنية: امتدت الدراسة من عام ٣٥٨ هـ حتى عام ٥٦٧ هـ.

الحدود المكانية: دولة مصر، مع الإشارة إلى بلاد الشام والحجاز وشمال إفريقيا حيث امتدت الدعوة الفاطمية.

الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على الطقوس الاحتفالية ذات الصبغة الدينية والدعوية دون الاحتفالات ذات الطابع العسكري أو الاقتصادي البحت.

تمهيد؛ الدولة الفاطمية والسياق الدعوي

أولاً: النشأة والتأسيس الأيديولوجي للدولة الفاطمية:

نشأت الدولة الفاطمية في سياق صراع أيديولوجي وسياسي متشعب عرفه العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، حين بدأت حركة الدعوة الإسماعيلية ترسي دعائمها التنظيمية في شمال إفريقيا، مستغلة الاضطراب الذي ألم بالخلافة العباسية وانشغالها بنزاعاتها الداخلية، وقد أعلن عبيد الله المهدي[4] نفسه خليفة إسماعيلياً عام ٢٩٧ هـ/٩٠٩م في رقادة بالقيروان، مؤسساً دولة ترى في نفسها امتداداً شرعياً للإمامة العلوية من نسل فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ[5]، ولم تكن هذه الدعوى السياسية والدينية مجردة من آليات التنفيذ، إذ أسست لها شبكات دعوية منظمة عرفت بـ"دور الحكمة" و"الدعاة"، تسللت إلى أعماق المجتمعات الإسلامية بأساليب بالغة الدقة والذكاء.

وحين أطبق القائد جوهر الصقلي على مصر عام ٣٥٨ هـ/٩٦٩م واستتب له الفتح، أسس مدينة القاهرة عاصمة جديدة، وشرع في إنشاء الجامع الأزهر الذي كان في البداية منبراً للعقيدة الإسماعيلية قبل أن ينقلب على مؤسسيه ويصبح معقل السنة الأكبر في العالم الإسلامي، وكان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ هـ) قد أعد لهذا الفتح إعداداً علمياً ومالياً وعسكرياً محكماً، وقد قدم إلى مصر عام ٣٦٢ هـ محمولاً

4) **عبيد الله المهدي**: هو أبو محمد عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، أول خلفاء الدولة الفاطمية ومؤسسها، كان يدعي النسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، خرج من سلمية بالشام متنكراً هارباً من ملاحقة العباسيين، واستقر في سجلماسة بالمغرب الأقصى حتى أنقذه داعيه أبو عبد الله الشيعي وأوصله إلى رقادة بالقيروان، فأعلن نفسه خليفة وإماماً عام ٢٩٧ هـ/٩٠٩م، وبنى مدينة المهدية على ساحل البحر المتوسط عام ٣٠٨ هـ لتكون عاصمة لدولته، وقد عرف بحزمه وسياسته الرشيدة في تثبيت دعائم الدولة الناشئة ومواجهة خصومها من الأغالبة والخوارج، وتوفي عام ٣٢٢ هـ/٩٣٤م، للمزيد ينظر: ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (ت بعد ٧١٢ هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣م، ج١، ص ١٥٦-١٦٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج3، ص 222-226.

5) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧م، ج١، ص ٢٢-٢٥.

رفات أجداده الأئمة الفاطميين، في إشارة رمزية عميقة تعلن أن مصر باتت المركز الروحي للدعوة الإسماعيلية في العالم [6].

ثانياً: التركيبة المذهبية للمجتمع المصري ومعضلة الحكم الإسماعيلي:

واجه الفاطميون عند دخولهم مصر تركيبةً مذهبية بالغة التعقيد؛ فقد كانت مصر موطناً للأغلبية السنية التي تتوزع بين المذاهب الشافعي والمالكي بصورة رئيسية، فضلاً عن وجود قبط مسيحيين يشكلون أقليةً معتبرة. وكان مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية شبه غائب، أما الإسماعيلية فلم تكن معروفة للعامة سوى في مظاهرها الخارجية، ويشير المقريزي في خططه إلى أن الفاطميين كانوا يعون هذه الهوة المذهبية العميقة تمام الوعي، ومن ثم أحكموا الحيلة واتخذوا المداراة ذريعةً إلى استمالة القلوب[7].

وقد أفرز هذا الواقع المذهبي معضلة سياسية-دينية جوهرية: كيف تحكم أقلية مذهبية إسماعيلية مجتمعاً سنياً كثيفاً دون أن تثير موجة من المقاومة الدينية؟ وكيف ترسخ الشرعية وتبني الولاء دون أن تكره الناس على تغيير هويتهم المذهبية؟ فكانت الإجابة الفاطمية عن هذه المعضلة متعددة المسارات: التسامح الفقهي في المسائل العملية، وترقية العلماء السنة في الجهاز البيروقراطي، وفي الوقت ذاته صياغة منظومة احتفالية طقوسية ضخمة تتيح للمجتمع التعبير عن هويته الإسلامية العامة في إطار رمزي إسماعيلي بامتياز[8].

ثالثاً: دور الاحتفالات في المنظومة الدعوية الفاطمية:

لم تكن الاحتفالات الفاطمية ترفاً سلطانياً أو نشاطاً اجتماعياً عابراً، بل كانت تعبيراً عن فلسفة سياسية ودعوية متكاملة، وهنا يرى المستشرق الألماني هاينز هالم Halm, Heinz أن الاحتفالات كانت تجسيداً عيانياً للنظرية الإسماعيلية في الإمامة، حيث كان الخليفة - الإمام يظهر في هيئة مقدسة تتجاوز حدود السلطة الزمنية لتصل إلى منزلة الولي المعصوم حامل علم الإمامة، وقد اضطلع المؤسسة الدعوية بالمهمة التنظيرية هذا التوظيف الاحتفالي، عبر ما عرف بـ"مجالس الحكمة"[9] التي كانت تعقد بالتزامن مع المناسبات الكبرى، وتستهدف الخاصة قبل العامة[10].

---

6) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٢م، ج٢، ص ٢٧٣-٢٧٥.

7) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧، ج٨، ص ٦٣١ – ٦٣٤؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٤١-٣٤٣.

8) شاكر مصطفى، الدولة الفاطمية في مصر، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٦م، ص ١١٢-١١٥.

9) **مجالس الحكمة:** هي مجالس علمية دعوية رسمية أسسها الفاطميون، كانت تعقد في دار الحكمة بالقاهرة التي أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله عام ٣٩٥ هـ، وكانت تنقسم إلى مجالس عامة يحضرها الرجال والنساء على حد سواء، ومجالس خاصة مغلقة لا يحضرها إلا المنتسبون إلى الدعوة الإسماعيلية من الدعاة والمستجيبين، وكان داعي الدعاة يتولى الإشراف عليها ويلقي فيها دروساً في التأويل الباطني للقرآن الكريم والفلسفة الإسماعيلية، وقد ارتبطت هذه المجالس ارتباطاً وثيقاً بالمناسبات الاحتفالية الكبرى إذ كانت تعقد في أعقابها مباشرة لاستثمار الحالة الوجدانية التي يحدثها الاحتفال في نفوس الحاضرين وتحويلها إلى تلق عقدي منظم، وكان القاضي النعمان أحد كبار فقهاء الدولة الفاطمية حينذاك ومنظري دعوتها الإسماعيلية، وقد أشار في احد كتبه إلى الأسس التي قامت عليها مجالس الدعوة والحكمة منذ نشأتها الأولى، موضحاً أن غايتها الجوهرية كانت إيصال التأويل الباطني للشريعة إلى المستجيبين بصورة منهجية متدرجة تصون أسرار الدعوة من الانكشاف لغير أهلها، للمزيد ينظر: النعمان بن محمد المغربي، أبو حنيفة القاضي (ت ٣٦٧ هـ)، افتتاح الدعوة وابتداء الدولة، تحقيق: فرحات الدشراوي، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م، ص ٢٧٩-٢٨٢.

10) Halm, Heinz, The Fatimids and Their Traditions of Learning, London: The Institute of Ismaili Studies, 1997, pp. 37-41.

ويلاحظ كذلك أن الفاطميين كانوا يحرصون على إدراج بعض المناسبات السنية الراسخة كالمولد النبوي والمواسم الإسلامية العامة ضمن منظومتهم الاحتفالية، غير أنهم كانوا يوظفونها ويسبغون عليها المحتوى إسماعيلي ولاسيما عبر الخطب والأشعار والشعائر المصاحبة لها، وهذا ما جعل القاضي ابن القلانسي الدمشقي يلاحظ أن القاهرة أيام الفاطميين كانت مدينة لا تهدأ لها احتفالات ولا تنقطع[11]، وهو تعليق يشير إلى كثافة هذه المنظومة الاحتفالية غير المسبوقة في التاريخ الإسلامي.

المبحث الأول: المناسبات الدينية الكبرى ودورها في نشر الدعوة الإسماعيلية

المطلب الأول؛ عيد الغدير والمولد النبوي الشريف نموذجين دعويين:

مثل عيد الغدير (الثامن عشر من ذي الحجة) الشعيرة الدينية الأكثر تجذراً في الهوية الإسماعيلية الشيعية، ومن ثم كان توظيفه الاحتفالي يحمل أعلى كثافة دعوية في المنظومة الفاطمية بأسرها، فعيد الغدير يحيي الذكرى التي يعتقد الشيعة أن النبي ﷺ نص فيها على خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام[12] عند غدير خُم الواقع على طريق العودة من مكة إلى المدينة، وذلك في أواخر من ذي الحجة من العام العاشر الهجري إبان عودته من حجة الوداع التي كانت آخر حجاته ﷺ قبل وفاته، وهو الحدث الذي يقوم عليه التشكيك في شرعية الخلفاء الراشدين الأوائل في المنظور الشيعي، وقد حرص الخلفاء الفاطميون على إقامة هذا العيد بأبهى صوره، إذ وصف المقريزي احتفالات الغدير في القاهرة قائلاً: إن الخليفة يعقد مجلساً حافلاً في القصر وتفتح أبوابه للخاصة والعامة، وتوزع الصلات والعطايا على الفقهاء والشعراء والمنشدين، كما أشار إلى أن الأئمة الفاطميين كانوا يوجهون الدعاة إلى إقامة مجالس خاصة في المساجد والأحياء الشعبية لشرح مغزى هذه الذكرى وفق التفسير الإسماعيلي، مما يحول الاحتفال الشعائري إلى فرصة تعليمية دعوية مباشرة [13].

وقد اتسمت احتفالات الغدير بطابع توزيع الهبات والمال الوفير على الأمراء والجند والقضاة، وهو ما يشير إليه القلقشندي في صبح الأعشى بقوله إن الفاطميين جعلوا من عيد الغدير مناسبة لترتيب الولاءات وتأكيد الرابطة بين الخليفة ورجال دولته، وهذا البعد السياسي- المالي للاحتفال يكشف أن الفاطميين كانوا يرون فيه أداة مزدوجة الوظيفة هما: وظيفة دعوية لغرس المعتقد الإسماعيلي، ووظيفة سياسية لتعزيز شبكة الولاءات حول الخليفة الإمام [14].

أما المولد النبوي الشريف، فقد حمل طابعاً دعوياً مختلفاً، لأن الفاطميين وجدوا فيه جسراً ممتازاً للتواصل مع المجتمع السني؛ فتعظيم النبي ﷺ قاسم مشترك بين جميع المسلمين، غير أن الفاطميين كانوا يحكمون توظيف هذا الاحتفال لترسيخ فكرة أن حب النبي ﷺ لا يكتمل إلا بحب آله من أهل البيت عليهم

11) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت ٥٥٥ هـ)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: هنري فريدريك أميدروز، بيروت: المطبعة اليسوعية، ١٩٠٨م، ص ٩٨-٩٩.

12) علي بن أبي طالب عليه السلام: هو ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ومن أوائل المسلمين وأكثرهم قربا من الرسول، واشتهر بشجاعته وعلمه وفصاحته، تولى الخلافة الإسلامية الرابعة سنة 35هـ/656م، وشهدت خلافته أحداث الفتنة الكبرى كوقعتي الجمل وصفين، حتى استشهد بالكوفة سنة 40هـ/661م، ويحتل مكانة خاصة لدى الشيعة بوصفه الإمام الأول والوصي الشرعي بعد النبي ﷺ، بينما يعده أهل السنة رابع الخلفاء الراشدين، للمزيد ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1988م، ج7، ص318-320.

13) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٩٤-٣٩٦.

14) القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩١٣م، ج٣، ص ٤٩٩-٥٠١.

السلام وعلى رأسهم الإمام الفاطمي عليه السلام، وتشير المصادر هنا إلى أن الاحتفال بالمولد بدأ شيعياً فاطمياً في جوهره قبل أن يصبح ظاهرة إسلامية عامة؛ إذ يقول السخاوي في "المقاصد الحسنة" إن أول من احتفل بالمولد النبوي علناً كانوا الفاطميين في مصر [15].

وقد كان للاحتفال طابع ليلي مضاء بالمشاعل والقناديل، تقرأ فيه قصيدة المديح وتوزع الأطعمة والحلوى، وهو مشهد جذب العوام السنة إلى مشاركة الأجواء الاحتفالية حتى وإن اختلفوا مع المضمون العقدي الإسماعيلي، وقد وصف النويري في "نهاية الأرب" الاحتفالات المولدية الفاطمية وصفاً دقيقاً، مبيناً أن "القاضي وكبار العلماء والداعي الأكبر" كانوا يجتمعون في قصر الخليفة ليستمعوا إلى خطب دعوية تربط بين مقام النبي ﷺ ومقام الإمام الفاطمي في سلسلة الإمامة الإلهية [16].

ثم تنطلق المواكب إلى المساجد والأحياء حاملة الشموع والمشاعل، فتتداخل حدود الشعيرة الدينية والعرض الاحتفالي الذي يستقطب حشود العامة ويهيئ وجدانهم لتقبل الأطر المذهبية الإسماعيلية، ولا بد في هذا السياق من الإشارة إلى أن المستشرق بول ووكر في دراسته " استكشاف إمبراطورية إسلامية: التاريخ الفاطمي ومصادره: Exploring an Islamic Empire: Fatimid History and its Sources" إذ ذهب إلى أن الفاطميين أتقنوا ما يسميه "الدبلوماسية العقدية"، أي تقديم المعتقد الإسماعيلي في أثواب شعائرية مألوفة عند السنة بحيث يشعر المشاركون من العوام أنهم يحيون شعائرهم الإسلامية المعتادة، بينما ينتقل إليهم في الوقت ذاته بعض الرمزية الإسماعيلية دون أن يشعروا بالغربة أو الإكراه[17].

المطلب الثاني؛ المواسم الدينية الشيعية الخاصة وأثرها في تشكيل الوجدان الديني:

إلى جانب عيد الغدير والمولد النبوي، كان في تقويم الفاطميين الاحتفالي مناسبات شيعية خاصة استحضرت الذاكرة التأسيسية للتشيع وعمقت الهوية الإسماعيلية في وجدان الرعية، وأبرز هذه المناسبات عاشوراء وذكرى استشهاد الحسين رضي الله عنه، التي كانت تحيا في القاهرة بمراسم حداد وإحياء ديني، وإن كان الفاطميون يحرصون على تليين صور التعبير العلني عن الحزن منعاً للاحتقان المذهبي مع السنة، شأن المرسوم الذي أصدره الخليفة المعز لدين الله يقيد الشعائر الحدادية الجماعية، وفي المقابل، اهتموا بإحياء ذكريات أئمة آل البيت عليهم السلام في سياق مساجد المشاهد التي أنشأوها أو جددوها في القاهرة والفسطاط، كمشهد الحسين، ومشهد السيدة زينب، ومشهد السيدة نفيسة [18].

وتعد ذكرى مولد الإمام علي عليه السلام وذكريات مواليد سائر الأئمة الفاطميين مناسبات اختص بها الفاطميون دون سائر المسلمين، وكانوا يحيونها باحتفالات رسمية في القصر؛ إذ توزع فيها الصلات (وهي: العطايا والهبات المالية والعينية التي يمنحها الخليفة أو الحاكم في المناسبات الدينية) على رجال الدولة والعلماء والشعراء والدعاة والفقراء، ويرى القلقشندي أن هذه الذكريات كانت تستغل منبراً لتعليم دقائق

15) السخاوي، شمس الدين محمد (ت ٩٠٢ هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م، ص ٢٦١-٢٦٣.

16) النويري، شهاب الدين (ت ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٣م، ج٢٨، ص ١٩٥-١٩٨.

17) Walker, Paul E, Exploring an Islamic Empire: Fatimid History and its Sources, I.B. Tauris: London, 2002, pp. 115-118.

18) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٩-١١١.

النسب الفاطمي وسلسلة الأئمة الإسماعيليين من محمد بن إسماعيل [19] حتى الإمام الحاضر[20]، بما يرسخ في أذهان الرعية الإطار الشرعي الإسماعيلي للخلافة الفاطمية [21].

كما احتلت ليلة النصف من شعبان وليلة الإسراء والمعراج مكانة لافتة في التقويم الاحتفالي الفاطمي، وكانت ليلة النصف من شعبان تُحيا بمواكب مضيئة وختم للقرآن في الجامع الأزهر والمساجد الكبرى، بينما كانت ليلة الإسراء والمعراج محوراً لخطب دعوية تربط الرحلة الروحية للنبي ﷺ بمفهوم الإمامة الإلهية الإسماعيلية، ويلاحظ أن المصادر الفاطمية كـ"رسائل إخوان الصفا" وكتابات داعية الدعاة حميد الدين الكرماني تقدم المعراج في سياق النظرية الكونية الإسماعيلية القائلة بتسلسل الفيوضات الروحية من العقل الكلي إلى الإمام[22].

ويضيف هاينز هالم في كتابه "The Fatimids and Their Traditions of Learning"(1997) " أن المناسبات الدينية الفاطمية كانت تشكل منظومة متكاملة من "أيام الإمام المقدسة" التي تعبئ الزمن وفق أجندة دعوية، بحيث لا يكاد يمر شهر دون احتفال يذكر الرعية بمكانة الإمام وعلو شأن الإمامة الإسماعيلية [23]، وهذا يعني أن الفاطميين نجحوا في "تأطير الزمن" تأطيراً دعوياً شاملاً، إذ جعلوا تقويم الاحتفالات مرآةً لنظريتهم في الإمامة تعكس أسماء الأئمة وتعاليمهم وكراماتهم.

غير أن هذا التوظيف المكثف للمناسبات الشيعية لم يخل من توترات مذهبية مع المجتمع السني. فقد سجل ابن الجوزي في "المنتظم" احتجاجات بعض فقهاء السنة على الاحتفالات الشيعية في مصر، معتبرين إياها ابتداعاً مرفوضاً، كما أشارت بعض المصادر إلى أن عوام السنة كانوا أحياناً يشاركون في الاحتفالات للاستمتاع بأجوائها المادية من طعام وإنارة وعروض دون أن ينقادوا للمضمون العقدي الإسماعيلي، وهو ما يشير إلى محدودية التأثير الدعوي العميق [24].

المبحث الثاني: الاحتفالات الموسمية والمدنية وأبعادها الدعوية

المطلب الأول؛ احتفالات وفاء النيل وفتح الخليج في الخطاب الدعوي الفاطمي:

---

19) **محمد بن إسماعيل:** هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق؛ وهو السابع في سلسلة أئمة الإسماعيلية، وحفيد الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، ولد نحو عام 128هـ/745م، ويعد في العقيدة الإسماعيلية الإمام الذي غاب غيبته الكبرى وينتظر رجوعه مهدياً في آخر الزمان، وقد تمحورت حول شخصيته الحركة الإسماعيلية الأولى التي انبثقت من الخلاف حول حق أبيه إسماعيل بن جعفر في الإمامة بعد أبيه، وهو ما جعله المرجعية الدينية الكبرى التي استندت إليها الدولة الفاطمية في بناء شرعيتها الإسماعيلية، للمزيد ينظر إلى: دفتري، فرهاد، تاريخ المذاهب الإسماعيلية: السياسة والأيديولوجيا الدينية في المجتمع الإسلامي، ترجمة: سيف الدين القصير، بيروت: دار الساقي، 1994م، ص 112-114.

20) **الإمام الحاضر**: هو الإمام الحاضر مصطلح إسماعيلي فاطمي، ويقصد به الإمام القائم الحي الموجود في كل عصر من العصور والمتسلسل نسبه من محمد بن إسماعيل، وهو في الاصطلاح الإسماعيلي من يحمل الإمامة الباطنية الحية ويمثل الحجة الإلهية على أهل زمانه، ويتمتع بسلطة التأويل الباطني للنصوص الدينية، وفي السياق الفاطمي كان الإمام الحاضر هو الخليفة الفاطمي الجالس على العرش في القاهرة، الذي تتسلسل إمامته من محمد بن إسماعيل مروراً بالأئمة المستورين حتى المهدي مؤسس الدولة ثم خلفائه المتعاقبين، للمزيد ينظر:

Walker, Paul E., Op. Cit., 2002, pp. 115–118.

21) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٣٤-٢٣٦.

22) الكرماني، حميد الدين (ت بعد ٤١١ هـ)، راحة العقل، تحقيق: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٤م، ص ١٦٧-١٧٢.

23) Halm, Heinz: The Fatimids and Their Traditions of Learning, Op. Cit., pp. 56-59.

24) ابن الجوزي، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ج٩، ص ١١٨-١٢٠.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد3 No 3
2026 ايار May2026

لم تقتصر المنظومة الاحتفالية الفاطمية على الشعائر الدينية الإسلامية، بل امتدت لتدمج احتفالات مصرية عريقة ترتبط بدورة الطبيعة والنيل، وهو ما يظهر ذكاء دعوياً فائقاً في استيعاب البيئة الثقافية المحلية وتوظيفها، ومن أبرز هذه الاحتفالات: احتفال وفاء النيل الذي كان يقام سنوياً عند بلوغ منسوب النيل ستة عشر ذراعاً، إيذاناً بكفاية الفيضان ونضجه، وقد تبنى الفاطميون هذا الاحتفال ووظفوا فيه محتوى دعوياً خاصاً، إذ كان الخليفة يشرف بشخصه على قطع خليج النيل، أو ينيب عنه كبار رجال الدولة في مشهد تمثيلي يبرز قدرة الإمام على التصرف في الكون وتسخيره لمصالح رعيته [25].

كما يصف المقريزي في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار؛ هذا الاحتفال بتفصيل نادر، إذ يبين أن القصر الفاطمي الكبير كان يتحول في هذه المناسبة إلى "خيمة دعوية" بالمعنى الحرفي، حيث تقام الولائم الكبرى، وتقرأ الخطب، وتوزع الصلات (الهبات والهدايا والأموال)، وينشد الشعراء قصائد في مدح الخليفة-الإمام الذي "تفيض نعمته كما يفيض النيل"، هذا التشبيه اللغوي البلاغي ليس عفوياً، بل هو تعبير مقصود عن نظرية الفيض الإسماعيلية التي ترى أن الإمام وسيط الفيض الإلهي على الأرض، تماماً كما يمثل النيل وسيط الخير الإلهي على التراب المصري[26].

أما احتفال فتح الخليج (شق الترعة)، فقد كان أكثر احتفالات الفاطميين بهجة وأوسعها مشاركة شعبية، حيث كان يقام عادة في أواخر الصيف حين تصل مياه الفيضان إلى منسوبها المطلوب، فتفتح الترعة الرئيسية لري الأرض، وقد تحول هذا الحدث الاقتصادي البحت إلى احتفال رسمي كبير تتشارك فيه الدولة والمجتمع، يحضره الخليفة بنفسه أو ممثلوه في موكب مائي مهيب على النيل[27]، وهنا يقول ابن المأمون البطائحي في "أخبار مصر" إن الموكب الفاطمي كان يضم "سفناً مزينة بالحرير والأعلام الخضراء شارة الفاطميين، والخليفة يجلس في قلب الموكب في حلة خضراء تبرز انتسابه لآل البيت عليهم السلام، وهذا التلوين البصري الأخضر هو رمز دعوي بامتياز يذكر الناظرين بالنسب النبوي العلوي للإمام الفاطمي[28].

وقد رصد المستشرق برنارد لويس في كتابه "The Origins of Isma'ilism(1940) " ظاهرة استيعاب الفاطميين للموروث الاحتفالي المصري القديم، مشيراً إلى أنهم طوعوا ووظفوا طقوس احتفالات النيل التي كانت تقام قبل الإسلام تعظيماً للطبيعة الإلهية لفيضان النيل، ليعيدوا صياغتها في شكل إسماعيلي يعظم الإمام بدلاً من إله النيل القديم، كما يرى أن هذا الإحلال الرمزي المدروس كان ركيزة من ركائز نجاح الفاطميين في احتضان الفضاء الثقافي المصري بدلاً من الاصطدام به [29].

وفيما يخص دور ووظيفة هذه الاحتفالات في خدمة الدعوة الإسماعيلية، يمكن الجزم بأنها حققت هدفاً دعوياً مهماً على مستويين هما: الأول؛ تقديم الخليفة- الإمام بوصفه "محيي الأرض" و"سيد النعمة"، بما يضفي عليه هالة كاريزماتية قريبة من النظرية الإسماعيلية في الإمام العارف الحامل للعلم الباطن والقادر

25) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مصدر سابق، ج١، ص ٤٨٦-٤٨٩.

26) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مصدر سابق، ج١، ص 191- 493.

27) Sanders, Paula, Ritual, Politics, and the City in Fatimid Cairo, State University of New York Press, Albany, 1994, pp. 104–108.

28) ابن المأمون البطائحي، جمال الدين يحيى (ت ٥٢٩ هـ)، أخبار مصر في عهدي الفاطميين والأيوبيين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٨٣م، ص ٨٨-٩١.

29) Lewis, Bernard: The Origins of Isma'ilism: A Study of the Historical Background of the Fatimid Caliphate, W. Heffer and Sons, Cambridge, 1940, pp. 88-91.

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

على الوساطة بين السماء والأرض. والثاني؛ هو نسج روابط انتماء وطنية دينية تجمع المصريين بشخص الخليفة الفاطمي بصرف النظر عن انتمائهم المذهبي، إذ يشعرهم بأن رخاءهم الاقتصادي مرتبط بوجوده وبركته [30].

المطلب الثاني؛ مواكب الأعياد الإسلامية الكبرى وإدارة التنوع المذهبي:

مثلت مواكب عيدي الفطر والأضحى المحك الأبرز لقدرة الفاطميين على إدارة التعايش بين هويتهم الإسماعيلية وطابع المجتمع السني، إذ كانت هذه الأعياد ملكاً مشتركاً للمسلمين جميعاً لا يمكن تحويلها إلى شعائر مذهبية خالصة دون استفزاز واسع، وقد تعامل الفاطميون مع هذا التحدي بأسلوب رفيع يظهر براغماتية سياسية ودعوية مدهشة [31].

فقد كانت مواكب عيد الفطر في القاهرة من أضخم الأحداث البصرية في العالم الإسلامي الوسيط بأسره، ويصف ابن المأمون البطائحي بأن موكب عيد الفطر الفاطمي في أيام الخليفة المستعلي بالله[32] (٤٨٧-٤٩٥ هـ) بما مضمونه أنه كان موكباً هائلاً يعرض فيه جيش بأكمله بعتاده وزينته، وتفتح أبواب القصر الفاطمي الكبير للعامة ليشاهدوا جنات الخيول المزينة وكتائب الجند من الديلم والسودان والترك، ثم يخرج الخليفة في موكب رهيب إلى مصلى العيد حيث تقام الصلاة الكبرى [33].

والأهم أن المصادر تشير إلى أن الخليفة كان يصلي صلاة العيد وفق المذهب المالكي أو الشافعي أحياناً تقرباً من المجتمع السني، بينما يبقي الأذان والقراءة ذات الطابع الشيعي في المساجد الرسمية، وهذا التمييز الطقوسي الدقيق بين الميدان الاجتماعي الاحتفالي والممارسة الرسمية المذهبية يجسد سياسة دعوية مرنة تسعى إلى الجمع بين إرضاء الأغلبية السنية وتأكيد الهوية الإسماعيلية في آن واحد[34]، وهنا يؤكد القلقشندي هذه الملاحظة في وصفه لبروتوكولات الأعياد الفاطمية، إذ يبين أن الخطبة الرسمية كانت تجمع بين الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وذكر أسماء الأئمة الفاطميين في نسق واحد متصل [35].

أما من ناحية البعد الاجتماعي لهذه المواكب، فقد أشار المستشرق الأمريكي بولا ساندرز Paula Sanders في دراسته عن الفاطميين إلى أن مواكب الأعياد كانت تجسد التسلسل الهرمي الكوني الإسماعيلي في صورة معمارية حية، إذ يتوسط الخليفة الموكب محاطاً بالدعاة والقضاة ورجال العلم، ثم الجند، ثم

30) Sanders, Paula, Ritual, Politics and the City in Fatimid Cairo, Op. Cit., 1994, pp. 63-67.

31) سحر علي عبد الأمير، وسعاد هادي حسن الطائي، التعايش السلمي وأثره على الحياة الاجتماعية في العهدين الفاطمي والأيوبي في مصر (358–648هـ / 969–1250م)، مجلة كلية الإمام الجامعة للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2021، ص 112–114؛
Jiwa, Shainool. Inclusive Governance: A Fatimid Illustration. In: Amyn Sajoo (ed.), A Companion to the Muslim World. London: I.B. Tauris in association with The Institute of Ismaili Studies, 2009, pp. 85–87.

32) **الخليفة المستعلي بالله:** هو أحمد بن المستنصر بالله، تاسع خلفاء الدولة الفاطمية، تولى الحكم في القاهرة سنة 487هـ/1094م حتى وفاته سنة 495هـ/1101م، جاء إلى السلطة بدعم الوزير الأفضل شاهنشاه، مما أدى إلى انقسام الدعوة الإسماعيلية بين المستعلية والنزارية بعد ثورة أخيه نزار في الإسكندرية، وقد شهد عهده بداية الحملات الصليبية الأولى وسقوط القدس سنة 1099م، بينما بقيت السلطة الفعلية في يد الوزير الأفضل الذي أحكم السيطرة على شؤون الدولة، للمزيد ينظر:
Daftary, F., The Isma'ilis: Their History and Doctrines, Cambridge: Cambridge University Press,1990, pp. 302–304. Halm, H., Op. Cit., pp. 45–47.

33) ابن المأمون البطائحي، أخبار مصر في عهدي الفاطميين والأيوبيين، مصدر سابق، ص ١١٤-١١٧.

34) Walker, Paul E., Op. Cit., 2002, pp. 92–95.

35) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصدر سابق، ج٣، ص ٥١٢-٥١٥.

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الحرفيون والعامة، وهو ترتيب يعكس الهرم الإسماعيلي للوجود من الإمام في القمة إلى الطالب المستجيب في القاعدة [36].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المواكب الفاطمية تضمنت كذلك عناصر ترفيهية وجمالية لافتة كالموسيقى الدينية والإنشاد والمسارح الميمية[37] وعروض الجنود، مما جعلها حدثاً شعبياً يتجاوز حدود الشعيرة الدينية إلى ميدان المتعة الجماعية، وهذا الدمج الوظيفي بين الديني والترفيهي والسياسي هو ما ميز التجربة الاحتفالية الفاطمية وما منحها طاقتها الدعوية الاستثنائية، ويشير ابن الزيات في كتابه "الكواكب السيارة" إلى أن أهل القاهرة كانوا يتوقون إلى الاحتفالات الفاطمية ويستعدون لها بأسابيع، وكانت تولد شعوراً بالانتماء للدولة والولاء للخليفة يصعب حصره في خانة مذهبية ضيقة[38] .

ويمكن القول إن مواكب الأعياد الكبرى حققت للفاطميين هدفاً دعوياً جوهرياً يتمثل فيما يسميه المستشرق البريطاني بيرت مايكل "الشرعنة الجماهيرية للسلطة"، في كتابة الإمبراطورية الفاطمية، إذ كانت الحشود المشاركة في هذه الاحتفالات تقدم نفسها ضمنياً بوصفها جزءاً من منظومة الولاء للإمام الفاطمي، وهو ما أسهم في تثبيت الاستقرار السياسي للدولة الفاطمية لقرابة قرنين من الزمن [39].

خاتمة البحث

توصل هذا البحث إلى جملة من النتائج الرئيسة التي ألقت الضوء على طبيعة التوظيف الدعوي للطقوس الاحتفالية في نشر الدعوة الاسماعيلية بالدولة الفاطمية وحجم فاعليته خلال الحقبة الزمنية (358-567ه):

أولاً: أبرز النتائج:

١- صمم الفاطميون منظومة احتفالية متكاملة وغير مسبوقة في تاريخ الدول الإسلامية، تضم ما يزيد على عشرة مواسم سنوية ثابتة، تتنوع بين الديني الإسلامي المشترك والديني الشيعي الخاص والموسمي المصري الموروث، مما جعلها ظاهرة احتفالية فريدة في الحضارة الإسلامية.

٢- كانت الاحتفالات تؤدي وظائف دعوية متعددة المستويات: كالتعليم العقدي للخاصة عبر مجالس الحكمة المصاحبة للمواسم، وغرس الولاء للإمام في وجدان العامة عبر مشهديه الموكب ومادية الهبات، وإدماج غير الإسماعيليين في الأجواء الاحتفالية العامة تمهيداً للتأثير الدعوي التدريجي.

٣- أجاد الفاطميون استيعاب الموروث الثقافي المصري (احتفالات النيل) وإعادة توظيفه في قالب دعوي إسماعيلي، وهو ما دل على نضج استراتيجي في التعامل مع الهوية المصرية دون مصادمتها.

---

36) Sanders, Paula, Ritual, Politics and the City in Fatimid Cairo, Op. Cit., 1994, pp. 18-22.

37) **المسارح الميمية**: هي عروضاً تمثيلية صامتة أو شبه صامتة يؤديها فنانون متخصصون يجسدون من خلال الحركة والإيماء مشاهد من التاريخ الإسلامي أو مواقف بطولية مرتبطة بآل البيت النبوي عليهم السلام، وكانت تقدم في الميادين العامة خلال المواكب الاحتفالية لإبلاغ رسالة دينية أو سياسية إلى الجمهور الذي لا يقرأ، للمزيد ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1967م، ج2، ص241-243.

Moreh, Shmuel, Live Theatre and Dramatic Literature in the Medieval Arab World, Edinburgh: Edinburgh University Press, 1992, pp. 37–42.

38) ابن الزيات، محمد بن أحمد (ت ٥٥٤ هـ)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في الغراف المصرية والقاهرة، القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٩٠٧م، ص ٧٤-٧٧.

39) Brett, Michael: The Fatimid Empire, Edinburgh: Edinburgh University Press, 2017, pp. 147-151.

٤- على صعيد النجاح الدعوي، اتضح لنا مما توصل إليه البحث أن الاحتفالات نجحت في تحقيق الاستقرار السياسي وبناء الولاء الإجرائي للخليفة الفاطمي، غير أنها لم تفض إلى تحول مذهبي جذري في الأغلبية السنية، بدليل أن الانقلاب الأيوبي على الفاطميين عام ٥٦٧ هـ لم يثر مقاومة شعبية واسعة دفاعاً عن المذهب الإسماعيلي.

٥- تؤكد الدراسة أن الطقوس الاحتفالية كانت أجدى في استيعاب النخب العلمية والإدارية في المنظومة الفاطمية منها في تحويل الأغلبية الشعبية السنية مذهبياً، مما يعني أن نجاح الدعوة الفاطمية كان انتقائياً وظيفياً أكثر منه شاملاً عقدياً.

ثانياً: التوصيات:

يوصي البحث بإجراء دراسات مقارنة بين المنظومة الاحتفالية الفاطمية ونظيراتها في الدولة العباسية والدولة البويهية لإبراز خصوصية التجربة الفاطمية، كما يوصي بالاهتمام بالمصادر الأرشيفية الغنية المتعلقة بالبروتوكول الفاطمي كالرسائل والمراسيم التي نشرها مروان الأمين في دراساته الحديثة، واستثمارها في أبحاث متخصصة في تاريخ الحضارة الفاطمية.

قائمة المصادر:

أولاً: المصادر الأولية الأصيلة:

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧.

ابن الجوزي، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.

ابن الزيات، محمد بن أحمد (ت ٥٥٤ هـ)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في الغراف المصرية والقاهرة، القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٩٠٧.

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت ٥٥٥ هـ)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: هنري فريدريك أميدروز، بيروت: المطبعة اليسوعية، ١٩٠٨.

ابن المأمون البطائحي، جمال الدين يحيى (ت ٥٢٩ هـ)، أخبار مصر في عهدي الفاطميين والأيوبيين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1983.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٧٢.

ابن شداد، بهاء الدين يوسف، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964.

ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (ت بعد ٧١٢ هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٥٣.

السخاوي، شمس الدين محمد (ت ٩٠٢ هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1967.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩١٣.

الكرماني، حميد الدين (ت بعد ٤١١ هـ)، راحة العقل، تحقيق: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٤.

المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧.

المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٢.

النعمان بن محمد المغربي، أبو حنيفة القاضي (ت ٣٦٧ هـ)، افتتاح الدعوة وابتداء الدولة، تحقيق: فرحات الدشراوي، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥.

النويري، شهاب الدين (ت ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٣.

ثانيًا: المصادر الحديثة:

دفتري، فرهاد، تاريخ المذاهب الإسماعيلية: السياسة والأيديولوجيا الدينية في المجتمع الإسلامي، ترجمة: سيف الدين القصير، بيروت: دار الساقي، 1994.

سحر علي عبد الأمير، وسعاد هادي حسن الطائي، التعايش السلمي وأثره على الحياة الاجتماعية في العهدين الفاطمي والأيوبي في مصر (358–648هـ / 969–1250م)، مجلة كلية الإمام الجامعة للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2021.

شاكر مصطفى، الدولة الفاطمية في مصر، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٦.

ثالثًا: المصادر الأجنبية (دراسات المستشرقين):

Brett, Michael: The Fatimid Empire, Edinburgh: Edinburgh University Press, 2017.

Daftary, F., The Isma'ilis: Their History and Doctrines, Cambridge: Cambridge University Press,1990.

Halm, Heinz, The Fatimids and Their Traditions of Learning, London: The Institute of Ismaili Studies, 1997.

Jiwa, Shainool. Inclusive Governance: A Fatimid Illustration. In: Amyn Sajoo (ed.), A Companion to the Muslim World. London: I.B. Tauris in association with The Institute of Ismaili Studies, 2009.

Lewis, Bernard: The Origins of Ismaʿilism: A Study of the Historical Background of the Fatimid Caliphate, W. Heffer and Sons, Cambridge, 1940.

Moreh, Shmuel, Live Theatre and Dramatic Literature in the Medieval Arab World, Edinburgh: Edinburgh University Press, 1992.

Sanders, Paula, Ritual, Politics, and the City in Fatimid Cairo, State University of New York Press, Albany, 1994.

Walker, Paul E, Exploring an Islamic Empire: Fatimid History and its Sources, I.B. Tauris: London, 2002.